بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الإعداد: 8 رمضان 1428 هجري إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

المرجع: 20070920 www.al-msjd-alaqsa.com

الدرس الثامن ثلاثون درس في سورة الفاتحة في رمضان

رب العالمين – توحيد الربوبية

(الرب)

الربُّ هو المالك المتصرف والسيد والمربي والمنعم والقيِّم ، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف، وكلُ ذلك صحيح في حق الله تعالى، ولا تستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، نقول ربُّ الدار أو رب الأسرة أو رب العمل، وأما (الرَبِّ) فلا يقال إلا لله عزّ وجلّ، و(رَبِّ الْعَالَمِينَ) هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقيُمهم لذا فهو أولى بالحمد من غيره، وقد جاءت (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أنسب ما يمكن وضعه بعد (الْحَمْدُ لِلَّهِ).

واختيار كلمة رب هنا تناسب ما بعدها (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) لأن من معاني الرب المربي وهي أشهر معانيه وأولى مهام الرب الهداية لذا اقترنت الهداية كثيراً بلفظ الرب كما اقترنت العبادة بلفظ الله تعالى، يقول عز وجل في سورة طه 20 – آيات 49–50 (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)، ويقول في سورة طه 20– آية 122 (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)، ويقول في سورة الأعلى 87 – آية 1–4 (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى)، ويقول عز وجل في سورة الأنعام 6 – آية 161 (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف 18 – آية 24 (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا)، ويقول عز وجل في سورة الشعراء 26 – آية 62 (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)، ويقول

سبحانه وتعالى في سورة الصافات 37 – آية 99 (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ)، ويقول عز وجل في سورة الزخرف 43 – آية 27 (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة القصص 28 – آية 22 (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) لذا ناسب لفظ "رب" مع " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " وفيها طلب الهداية.

العالمين

العالمين: جمع عوالم، وعوالم جمع عالم، وعالم هو كل ما هو موجود سوى الله تعالى، و(عالم) هو جمعٌ لا واحد له من لفظه، وتجمع (عالم) أيضا على (عوالم) وهي أصناف المخلوقات في السماوات، وفي البر، والبحر.

وقيل العالم تجمع على العوالم وعلى العالمين لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغي يعني ذلك أن العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل (لا تشمل غير العقلاء) وإستدلوا بقوله تعالى في سورة الفرقان 25 – آية 1 (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)، ومن المؤكد انه ليس نذيراً للبهائم والجماد. فاستدلوا على أن المقصود بالعالمين أولي العقل وأولي العلم أو المكلفون، وأنا أرى أن العالمين تشمل جميع مخلوقات الله، لأن ربوبية الله وتدبير امره يمتد من العقلاء إلى غير العقلاء، فالله هو رب الشجر والحجر والمطر والدواب، أما الأية السابقة فقد خصصت لمن يمكن إنذاره من العالمين، فكان العالمين العقلاء جزء من كل العالمين.

يقول عزّ وجلّ في سورة الشعراء 26 – آية 24 (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ)، والعالم مشتق من العلامة، لانه دال على وجود خالقه وصانعه وعلى وحدانيته جلّ وعلا كما قال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آيـــــة ... تدل على انه واحـــد

وقال الفراء وأبو عبيد، (العالم عبارة عمّا يعقل وهم الإنس والجنّ والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم). وقال الزجاج: (العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة)، قال القرطبي: (وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين).

وأنه من أعظم نعم الله علينا انه هو مربينا ومدبر أمورنا ورازقنا والمتصرف بشؤوننا، وأنه لو أن تدبير الأمور أوكلت لغير الله، لفسد الكون كله، ولفسد كل من فيه.

وقد تأتي كلمة العالمين لتدل على جزء من الناس كما في قصة سيدنا لوط، يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجر 15 – آية 70 (قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) جاءت العالمين هنا بمعنى قسم من الناس.

وقد ورد في آخر الفاتحة ذكر المغضوب عليهم وهم اليهود، والعالمين رد على اليهود الذين ادعوا أن الله تعالى هو رب اليهود فقط فجاءت رب العالمين لتشمل كل العالمين لا بعضهم.

رب العالمين

قال القرطبي: (إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله (رب العالمين) ليكون من باب قرن الترغيب بالترهيب كما قال تعالى في سورة الحجر 15 – آية 49–50: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) وقوله في سورة الأنعام 6 – آية 165: (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فالرب فيه ترهيب، والرحمن فيه ترغيب، وفي الحديث: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد)" رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً".

وكون الله هو (رب العالمين)، فهذا من عظيم رحمة الله وتعالى علينا، فرحمة الله علينا كبيرة جداً، لدرجة أن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن أخطائنا الكثيرة والمستمرة، فلو أراد الله أن يأخذ كل مذنب بذنبه وكل مخطئ بخطئه وكل عاصي بمعصيته وكل كافر بككفره وكل مشرك بشركه، لوجدنا أن العذاب قد حل بكل فرد على وجه الأرض.

توحيد الربوبية

يقول سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة 1 – أية 2 (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فالإيمان بربوبية الله – عز وجل– هو أن يعتقد المسلم أن خالق كل شيء ولا خلق غيره، وأن الله جل في علاه هو مدبر شؤون كل شيء ولا مدبر للشؤون سواه، فبيده سبحانه وتعالى الرزق والإحياء والإماتة، وهو الخافض الرافع المعز المذل القادر على كل شيء، ويقول سبحانه وتعالى في سورة آل عمران 3 – أية 51 (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)، ويقول في سورة مريم 19 – أية 36 (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الزخرف 43 – أية 64 (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)، وفي كل هذه الآيات يبن لنا سبحانه وتعالى أن عبادة الله تعني السير على الصراط المستقيم.

تدبير شؤون الكون هو شأن من شؤون الله

يقول سبحانه وتعالى في سورة يونس 10 – أية 3 (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)، ففي هذه الأية بدأ سبحانه وتعالى بإستخدام (إن ربكم)، وأعلن أن (الرب هو الله)، (إن ربكم الله)، وختم الآيات بـ (رب العالمين)، أي أنه إبتدءها (بالرب) وختمها (بالرب)، وما بين هاتين الكلمتين يوضح لنا معنى كلمة (الرب) ومما يظهر في هذا البيان ما يلي:-

- الرب هو الخالق، فهو من خلق السماوات والأرض، حيث خلق الأرض وما فيها وما عليها وخلق السماوات وما فيها، وخلق ما بين السماوات والأرض وقدر الأرزاق في ستة أيام.
- ثم أن رب العالمين إستوى على العرش ليدبر الأمر، ليدبر شؤون هذا الخلق الذي خلقه، ليدبر شؤون السماوات وشؤون الأرض وشؤون العباد والمخلوقات المتواجدة في هذا الكون.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأعراف 7– أية 54 (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)، وبهذا الآية يبين لنا سبحانه وتعالى صورة من صور تدبيره للأمر، حيث أنه في الأية السابقة إستخدام عبارة (يدبر الأمر)، وفي هذه الأية إستخدم إحدى صور هذا التدبير وهي (يغشي الله النهار يطلبه حثيثا الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)، فماذا نفهم من هذه الكلمات.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الرعد 13 – أية 2 (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)، وفي هذه الأية يبين لنا سبحانه وتعالى صورة أخرى من صور تدبيره للأمور حيث أن (رفع السماوات بغير عمد مرئية ، تسخير الشمس والقمر ومسيرهم) هي صور من صور تدبير الأمور.

ويقول سبحانه وتعالى في سورة ألأنعام 6 – أية 76 (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي

فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، فحركة الليل والنهار وحركة الكواكب والقمر والشمس وخلق السماوات والأرض هي من تدبير الله للشؤون.

خلق الناس وإستعمارهم في الأرض من شؤون الله

يقول سبحانه وتعالى في سورة هود 11 – آية 61 (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ).

توزيع الأرزاق هو شأن من شؤون الله

يقول سبحانه وتعالى في سورة يونس 10 – أية 31 (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)، وفي هذه الأية يبين لنا سبحانه وتعالى صورة أخرى من صور تدبيره للأمور حيث أن (الرزق الآتي من السماء والأرض ، إمتلاك السمع والأبصار ، إخراج الحي من الميت ، إخراج الميت من الحي) ما هي إلا صور من صور تدبير الله للأمور، ويقول سبحانه وتعالى في سورة سبأ 34 – أية 36 (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)، فالله هو باسط الرزق الكريم، بعكس الإنسان الممسك البخيل، يقول سبحانه وتعالى في سورة الإسراء 17 – أية 100 (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا)، فبسط الرزق ومنع الرزق بيد الله يتصرف به كيفما يشاء، يقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف 18 – أية 40 (فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا).

هداية الناس وضلالهم شأن من شؤون الله

يقول سبحانه وتعالى في سورة سبأ 34 – أية 50 (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ).

تعليم الناس شأن من شؤون الله

علم الله هو العلم الكامل، ومن تدبير الأمر أن ينعم سبحانه وتعالى على عباده بقليل من هذا العلم، يقول سبحانه وتعالى في سورة الإسراء 17 – أية 85 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة طه 20 – أية 52 ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء 21 – أية 4 ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة يوسف 12 – أية 23 ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

تحديد الحرام والحلال شأن من شؤون الله

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأعراف 7 – أية 33 ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فبيان صحة أعمالنا من حلال وحرام وصواب وخطأ من قبيل تدبير الله للشؤون.

تحديد طريقة العبادة شأن من شؤون الله

ويقول سبحانه وتعالى في سورة المائدة 5 – أية 117 ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وفي هذه الآيات تبين أنه من تدبير الله للأمور أن الله هو (الرقيب) الذي يرانا ويعلم ما نفعل وما نقول وما نسر وما نخفي، وأن الله هو (الشهيد) الذي سيشهد علينا يوم الحساب بما كنا نفعل، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام 6 – أية 161 ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وفي هذا بيان أن سيرنا على الصراط المستقيم أي الأسس والقواعد والقوانين التي نسير عليها في منهاج حياتنا هي من تدبير الله، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأعراف 7 – أية 29 ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، ومن هذه الآية يظهر لنا أن الأساسات التي نتبعها في عبادة الله من تدبيره سبحانه وتعالى، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأعراف 7 – أية 62 ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يقول عز وجل في سورة الأعراف 7 – أية 79 ﴿فَتَوَلَّى

عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)، ويقول سبحانه وتعالى ي سورة يونس 10 – أية 15 (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أي ان الكتب السماوية ودعوة الرسل الذين يدعون الناس لإخراجهم من عبادة العباد لعبادة رب العباد، هو من تدبير الله سبحانه وتعالى، ويقول سبحانه وتعالى في سورة غافر 40 – أية 66 (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الشورى 42 – أية 10 (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

كل ما يدب على وجه الأرض وكل ما يجري في البحار هو شأن من شؤون الله

ويقول سبحانه وتعالى في سورة هود 11 – أية 14 (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)، ويقول في سورة هود 11 – أية 56 (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

إستخلاف الأمم بعضها لبعض شأن من شؤون الله

ويقول سبحانه وتعالى في سورة هود 11 – اية 57 (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ).

أمر الساعة من شأن الله

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة (مالك يوم الدين)، ويقول في سورة الأعراف 7 – أية 187 (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ

اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)، فتدبير أمر الساعة هو من شأن الرحمن الرحيم، ويقول سبحانه وتعالى في سورة طه 20 – أية 105 (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا).

النصر والربح والتوفيق والقدرة شأن من تدبير الله

يقول سبحانه وتعالى في سورة هود 11 – أية 63 (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ)، يقول سبحانه وتعالى في سورة هود 11 – أية 88 (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف 18 – أية 95 (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا)، يقول سبحانه وتعالى في سورة النمل 27 – أية 40 (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ).

وفي تدبير الله للأمور فإنه محيط بتصريف الأمور

يقول سبحانه وتعالى في سورة هود 11 – أية 92 (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

حتى الكفار والمشركين يؤمنون بربوبية الله

وكان المشركون في الجاهلية يعترفون بأن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو النافع، وهو الضار، ولكنهم لم يطيعوه، ولم يؤمنوا به، فلم ينفعهم ذلك الاعتراف بربوبيته دون ألوهيته، يقول سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت 29 – أية 61 (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة المؤمنون 23 – آيات 84–89 (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ

السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ).

لا حدود لقدرة الله على التدبير

الله هو الكامل في كل اسمائه ومعاني أسمائه، وما نراه وما ندركه من تدبيره سبحانه ما هو إلا القليل من خزائنه وقدرته وعظمته التي لا حدود لها، ولندرك عظمة هذه الأسماء وهذه المعاني، نقف مثلاً أمام القرآن الكريم، الذي يتكون من حوالي ستة عشر ألف كلمة تتشكل وتتكرر لتكون آياته المعجزة العظيمة، فإذا طأطأ الناس وطأطأ العلماء رؤوسهم وحنوها أمام هذا الإعجاز العظيم، الذي تشكل من هذه الكلمات القليلة، فكيف سيكون الوضع لو أن الله أنزل علينا كمية أكبر من كلماته، وكلمات الله لا تنفذ، يقول سبحانه وتعال في سورة الكهف 18 – أية 109 (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة لقمان 31 – أية 27 (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

وبما أن تدبير الشؤون بيد الله، يجب أن نتوكل على الله في تدبير شؤوننا

والخلق والإحياء والإماتة وباقي أسماء ومعاني أسماء الله الحسنى، هي أفعال الله –عز وجل–، فيمكن أن نعرف الإيمان بربوبية الله –عز وجل– بأنه توحيد الله بأفعاله هو، يقول سبحانه وتعالى في سورة يوسف 12 – أية 53 (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة يوسف 12 – أية 100 (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، فالله هو مدبر الأمور وهو الذي يخرج الناس من الكرب وقت الشدة، حتى لو كان الحل خارج عن المألوف، يقول سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم 14 – أية 39 (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)، ويقول الله –عز وجل– على لسان موسى – عليه الصلاة السلام– عندما حشر بين جنود فرعون وبين البحر، في سورة الشعراء 26 – أية 61–62 (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)، ويقول الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قبل أن يلقيه قومه في النار لحرقه في سورة

الصافات 37 – آية 97–99 ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة 2 – أية 258 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة يوسف 12 – أية 23 ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، وعندما فر سيدنا موسى من فرعون وجنوده بعدما قتل المصري، دبر الله له أمره وأيده بآياته وجعله رسولاً، يقول سبحانه وتعالى في سورة الشعراء 26 – أية 21 ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وعندما قرر سيدنا إبراهيم الهجرة هربا من الكفر والكفار، شد لوط يده على سيدنا إبراهيم، وإتكل على الله في تدبير أمره وهاجر معه، يقول سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت 29 – أية 26 ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ولعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان أكثر من فهم معنى كلمة (الله)، حيث أن فهمه لهذا الأسم العظيم، كان بمعنى التوحيد وبمعنى الربوبية وبمعنى كمال الأسماء ومعني الأسماء بنفس الوقت، وهذا يبدو بوضوح عندما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في غار ثور مع أبو بكر الصديق كرم الله وجه، لا يبعدون أكثر من بضع خطوات عن الكفار الذي خرجوا للبحث عنهم لقتلهم، وعندما إشتد خوف أبو بكر الصديق، كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام مطمئنا تاركا تدبير أمره لرب العالمين، يقول سبحانه وتعالى في سورة التوبة 9 – آية 40 ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

نواقض الربوبية

سبق معرفة أن توحيد الربوبية هو اعتقاد المسلم بأن الله هو رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، ومدبر كل أمر...، فكل قول أو اعتقاد فيه إنكار لهذه الخصائص التي يختص بها الله –عز وجل– أو بعضها هو من نواقض الإيمان، التي يصبح فاعلها مرتدًا عن دين الله –عز وجل–.

ويدخل في هذا:-

- إنكار الخلق للخالق.
- أو إسناد الخلق إلى غير الله، كالقول بأن الكون خلق صدفة، أو أن الطبيعة هي الخالقة، والقول بقدم العالم.
- أو ادعاء الرزق من غير الله، أو إشراك غيره معه في ذلك.
- أو الادعاء بأن الله قد خلق الخلق وأهملهم.
- وكذلك من الكفر أن يدعي شخص لنفسه شيئًا من هذه الخصائص كما ادعى فرعون الربوبية وقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: 24).وكذلك يكفر كل من صدقه في هذه الدعوى وآمن به.

كل ذلك مما يمس ربوبية الله -تعالى-

www.al-msjd-alaqsa.com